صفات عباد الرحمن

٢ ــ الحِلم

● الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كنّا نتحدث عن صفات عباد الرحمن، الذين ذكرهم الله تعالى في أواخر سورة الفرقان، وتحدثنا عن **الصفة الأولى** من صفاتهم وهي أنّهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ثمّ ذكر الله الصفة الثانية من صفاتهم فقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، صفتهم في أنفسهم: التواضع، أنّهم هّينون ليّنون، متواضعون غير مستعلين ولا مستكبرين، «.. وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله»[1].

والصفة الثانية: حالهم مع النّاس وخاصّة مع أهل الجهل والسفه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

قالوا قولاً يسلمون فيه من الإثم، ويسلمون فيه من اللّوم، ويسلمون فيه من سوء العاقبة، لا يردُّون على السيّئة بالسَّيِّئة وإن كان هذا من حقهم، وإن كانوا يقدرون على أن يكيلوا الصاع صاعين، وأن يردّوا اللّطمة لطمتين، ولكنّهم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه، وأوّله: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزًّا..».

لا يشغلون أنفسهم بالرّدّ على الجهّال والسفهاء، لا، إنّهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: قالوا قولاً سديداً يليق بهم، يليق بحالهم مع الله، يليق بحالهم مع الآخرة، يليق بما نصبوا أنفسهم له من نصرة الدين وإقامة الحق في الأرض.

﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: قالوا لهم سلام عليكم، كما حكى الله تعالى عن جماعة من المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

لنا طريق ولكم طريق، ولا نحبّ أن نتنازل عن طريقنا لنمشي في طريقكم.

هذا هو شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، والجهل هنا ليس هو (الجهل ضدّ العلم)، ولكنه أكثر ما يكون (الجهل ضدّ الحلم).

الجاهل السفيه قد يحمل شهادة عالية، قد يتسنّم أرفع المناصب، ولكنّه جاهل في نفسه، سيّء الخلق. قد يكون له لسان، وقد يكون له قلم يكتب به في كبريات الصحف، ولكنّه سفيه جاهل، يمكّن لسانه وقلمه من أعراض الشرفاء من النّاس.

هؤلاء إذا خاطبوا عباد الرحمن ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، قالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القص: ٥٥]، هؤلاء هم الجاهلون كما قال الشاعر الجاهليّ:

ألا لا يجهلنّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(الجاهل) في نظر القرآن هو: كلّ من عصى الله عزّ وجلّ، كل من غلّب الهوى على الحق، كلّ من غلّب الشهوة على العقل.

يوسف عليه السلام لمّا راوده النسوة عن نفسه قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

موسى عليه السلام حينما أمر قومه أن يذبحوا بقرة قالوا: أتتخذنا هزوا،

قال أعوذ بالله أن يكون من الجاهلين.

أي أن يهزأ في موضع الجدّ، وأن يتكلّم بالسخرية في موضع الحق، هذا شأن الجاهلين.

فكلّ من عصى الله ـ كما قال السلف ـ فهو جاهل، وكلّ سيء الخلق فهو جاهل.

عباد الرحمن لا يشغلون أنفسهم بمعركة دائمة مع الجاهلين.

الجاهلون ملء الأرض، لو شغل الإنسان نفسه بهم، فلن تستقيم له حياة، ولن يستطيع أن يؤدّي عمله، ولن تستريح له نفس، أو يطمئنّ له قلب، سيتعب وسيشغل نفسه بالباطل، ولهذا ينزّهون أنفسهم عن الردّ على هؤلاء، وإن كان لهم الحقّ في أن يردّوا السّيّئة بمثلها، ولكنّهم يعفون ويصفحون ولا يقولون إلاّ حقًّا، فكلّ إناء بالذي فيه ينضح.

قالوا: إنّ المسيح عليه السلام مرّ على جماعة من اليهود، فقالوا فيه شرًّا، وقال فيهم خيراً، فقالوا له: يقولون فيك شرًّا وتقول فيهم خيراً!! قال لهم: كلّ ينفق ممّا عنده.

من كان عنده الخير أنفق الخير، ومن لم يكن في جعبته إلاّ الشرّ والخبث أنفق الشرّ والخبث، وهذا ما قاله الشاعر العربيّ قديماً:

ملكنا فكان العفو منا سجيّة فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

عباد الرحمن إذا خاطبهم الجاهلون ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، نزّهوا ألسنتهم أن تُلوّث باللغو من الكلام، فلسان المؤمن جدير أن يملأه ويرّطبه بذكر الله عزّ وجلّ، بتلاوة القرآن، بالتسبيح، بالتحميد، بالتهليل، بالتكبير، بالاستغفار، بشيء من هذا.

أمّا بالردّ على الجهّال ـ وما أكثرهم! ـ فينزّه لسانه عنه، ويحرص على

وقته.. على عمره أن يضيع في هذا الباطل.

العمر ثمين، والوقت نفيس، وهو كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ولهذا كان على عباد الرحمن أن يعمروا أوقاتهم بالخير، وأن يعرضوا فيها عن اللّغو.

ومن هنا كان من أوصاف المؤمنين الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٢ ـ ٣].

ينزّهون ألسنتهم، يحفظون أوقاتهم وأعمارهم، يحفظون صحائف حسناتهم، يريدون أن تمتلىء بالحسنات والخيرات، بدل أن يُكتب عليهم شيء من السّيّئات أو شيء لا لهم ولا عليهم.

يريدون أن يكونوا أصحاب الفضل يوم القيامة، فقد جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: «إذا جمع الله تعالى الخلائق نادى منادي: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس هم يسير (أعداد قليلة، ليسوا جمًّا غفيراً) فينطلقون سراعاً إلى الجنّة، فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنّا نراكم سراعاً إلى الجنّة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أُسيء إلينا غفرنا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنّة فنعم أجر العاملين»[1].

عباد الرحمن يريدون أن يكونوا من أهل الفضل هؤلاء.

هناك مرتبتان: مرتبة العدل ومرتبة الفضل.

مرتبة العدل: أن تقابل السّيّئة بمثلها، **ومرتبة الفضل**: أن ترتفع عن ذلك،

---

(١) قال البيهقيّ: هذا متن غريب وفي إسناده ضعف والله أعلم (شعب الإيمان: تحقيق محمد السيعد بن بسيوني زغلول، ٦/٢٦٣ برقم ٨٠٨٦، باب في حسن الخلق/ فصل في التجاوز والعفو وترك المكافأة).

فتقابل السّيّئة بالحسنة، كما قال الله تبارك تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

إذا كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة وطريقة أحسن منها، فادفع بأحسن الطرق، وبأحسن الوسائل، بالكلمة الطيّبة، بالفعل الجميل، بالإحسان، بتقديم خدمة حتى لمن أساء إليك: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: كأنّه صديق قويّ الصداقة، وذلك لأنّ الإنسان أسير الإحسان.

إذا أحسنت إلى إنسان، فإن إحسانك إليه يشدّه إليك ويقرّبه منك، كما قال القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قولبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

جاء رجل إلى ترجمان القرآن وحبر الأمّة: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فسبّه وتطاول عليه، فنظر ابن عباس إلى مولاه عكرمة وقال: يا عكرمة، انظر هل للرجل من حاجة فتقضيها له؟ فنكّس الرجل رأسه واستحى وانصرف.

وتطاول رجل على عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، فكان عليه قميصه فأعطاه إيّاه، وأمر له بألف درهم.

هكذا كان الأفاضل الشرفاء الأبرار من النّاس يقابلون السّيّئة بالحسنة.

سُئِل أنس بن مالك ـ خادم رسول الله ﷺ ـ عن هذه الآية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ما معناها؟ قال: هو الرجل يشتمه أخوه فيقول له: أإن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!!

أنظروا إلى هذه النفس الكبيرة، يقول له: يا ظالم أو يا فاسق أو يا مرائي أو يا كذّاب أو يا كذا، فيردّ عليه هذا الرد: إن كنتَ صادقاً وأنا ظالم أو مراء أو فاسق فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك كذبك.

وبهذا تنطفىء نار الغضب، والغضب جمرة من النّار يلقيها الشيطان في جوف ابن آدم، فعليه أن يطفئها بالحلم، بكفّ النفس واللسان.

ومن هنا كانت وصيّة النبي ﷺ لكثير ممّن استوصوه من الصحابة: «لا تغضب».

سأله رجل وصيّة وقال له: أقلل يا رسول الله (يعني أريد كلاماً قليلاً، لا أستطيع أن أحفظ الكلام الكثير) فقال له: «**لا تغضب**» فأعاد عليه السؤال وأعاد عليه النبي ﷺ الجواب[1].

ومعنى «لا تغضب»: لا تطع الغضب، أي إذا غضبت فكفّ نفسك، الجمها بلجام التقوى، لا تطع شيطان الغضب فتتصرّف تصرّف السفهاء، ومعناها أيضاً: لا تضع نفسك مواضع الغضب، أبعد عن أسباب الغضب ما استطعت.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، لا يغضب ولا يعرّض نفسه للغضب، وإذا غضب أمسك لسانه ويده، فلا يتكلّم إلاّ بخير، ولا يبسط يده إلاّ إلى خير.

سبّ رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال المسبوب لسابّه كلّما شتمه: عليك السلام، عملاً بهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فقال النبي ﷺ: «**أما إنّ ملكاً بينكما يذبّ عنك، كلّما يشتمك هذا، قال له: بل أنت وأنت أحقّ به، وإذا قال له: عليك السلام قال: لا بل لك أنت أحقّ به**»[2].

---

(١) جاء ذلك في حديث جارية بن قدامة الذي رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، وابن حبّان في صحيحه، ولفظ أحمد: أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، قل لي قولاً وأقلل لعلّي أعيه، قال: «لا تغضب» فأعاد عليه مراراً، كلّ ذلك يقول: «لا تغضب» انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٧٢٦، الحديث ١٦٥٣).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٤٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٧٥) وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة.

أي أنّ الله يبعث من الملائكة من يذود عن هذا المظلوم الذي كفّ لسانه وغضبه، ولم يردّ على الجهل بمثله.

جاء في صحيح البخاري[1]: أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة ابن حصن بن حذيفة (أحد جفاة الأعراب وكان سيداً في قومه) فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شبّاناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن الحرّ لعيينة، فأذن له عمر، فلمّا دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى قال لنبيّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين.

«خذ العفو»: أي ما عفا لك وتيسّر من أخلاق النّاس، عامل كلّ إنسان على قدر طاقته، ولا تتطلّب الكمال في النّاس.

«وأمر بالعرف»: ما تعرفه الفطر والعقول السليمة.

«وأعرض عن الجاهلين»: لا تشغل نفسك بهم.

وكان عمر رضي الله عنه وقّافاً عند كتاب الله عزّ وجلّ، فما كاد يتلو هذه الآية، حتى هدأ كلّ ما في نفسه، وأعرض عنه.

وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن: يعرض عن الجاهلين، لا يشغل نفسه بهم، إنّه مشغول بما هو أعظم من ذلك، ليذكر الله تبارك وتعالى، وليذكر الآخرة، وليذكر الحساب والجزاء.

---

(١) كتاب التفسير، باب: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين». انظر: (البخاري مع الفتح) برقم (٤٦٤٢).

أغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز ـ وهو خليفة وأمير المؤمنين ـ في القول، ففكّر عمر وأطرق مليّاً، ثمّ قال له: أردت أن يستفزّني الشيطان بسيف السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله منّي غداً، لا والله.

أراد أن يسفتزّه الشيطان لما له من سلطة ونفوذ، فيعاقب الرجل بما عنده من قدرة وسلطان، وإذا عاقبه اليوم فقد يُنال منه غداً، لأنّ هناك قصاصاً يوم القيامة، حتى يقتصّ للشاء الجمّاء ـ التي لا قرن لها ـ من الشاة القرناء، إذا نطحت صاحبتها[1].

هكذا كانت أمتّنا: أمّة حلم، وأمّة علم.

كانوا لا يشغلون أنفسهم بالتوافه، ولا يشغلون أنفسهم بمعارك.

عباد الرحمن يقولون: (سلاماً) إذا خاطبهم الجاهلون، لأنّهم مشغولون بما هو أعظم، مشغولون بدينهم، مشغولون بآخرتهم، مشغولون بأمر أمّتهم، وليسوا مشغولين بالانتصار للنفس.

الذين ينتصرون لأنفسهم، الذين يدورون حول ذواتهم، الذين جعلوا من أنفسهم أصناماً يُطاف بها، هؤلاء هم الذين يعيشون في معارك دائماً.

من أجل كلمة يقيم أحدهم حرباً، من أجل لفظة يقولها هذا أو ذاك يمتلىء قلبه حقداً، ويدير الحياة من وراء ذلك على هذا الأساس، يتخذ من هذا

---

(١) فقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يُقتصّ للخلق بعضهم من بعض، حتى للجمّاء من القرناء، وحتى للذّرّة من الذّرّة**» ورواته رواة الصحيح كما قال المنذري، وقال الشيخ القرضاوي معلّقاً، على هذا الحديث: المقصود بهذا القصاص ـ والله أعلم ـ إبراز العدل الإلهي المطلق في أبلغ صورة، وأنّ أحداً لن يضيع حقّه يوم القيامة، وإلاّ فإنّ هذه الحيوانات ليست مكلّفة، ولا ثواب لها، ولا عقاب عليها (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٩٣٠ برقم ٢٢٥٩).

خصماً ومن هذا عدوًا من أجل كلمة قيلت، ولعلّها قيلت في ثورة غضب.

عباد الرحمن ليسوا كذلك، إذا غضبوا فإنّما يغضبون لله، يغضبون لذات الله، يغضبون لحقّ العقيدة، يغضبون لحقّ الشريعة، يضغبون لحقّ الأمّة.

وهكذا كان رسول الله ﷺ، لا يغضب لنفسه، ولا يغضب للدنيا.

خدمه أنس بن مالك عشر سنين، وقال في ذلك: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفًّا قطّ، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا وهلاّ فعلت كذا»[1].

هذا الخلق العظيم، وهذه النفس السمحة، وهذا الطبع الكريم، كان في شؤونه الشخصيّة، ولكنّه كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله عزّ وجلّ، كان ـ كما قال عليٌّ ـ : «لا يغضب للدنيا، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له»[2].

كان يغضب لله ولا يغضب لشخصه، وهذا هو شأن عباد الرحمن، لا يغضبون لأنفسهم في الشؤون الشخصيّة.. في شؤون الأخذ والعطاء، والبيع والشراء، والتعامل والتحاسب، والصحبة والجوار، ولا يشغلون أنفسهم بمعارك جزئيّة، إنّما يشغلون أنفسهم بمعركة الإسلام والوجود الإسلامي وهذا ما ينبغي أن يعرفه المسلمون في عصرنا.

من أراد أن يكون من عباد الرحمن فيدع هذه المعارك التي يفتعلها الناس بعضهم مع بعض.

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب (الفضائل) باب (حسن خلقه ﷺ). انظر (صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/٦٩).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٧١) ط. دار المعرفة ببيروت، وعزاه الحافظ العراقي في تخريجه إلى الترمذي في الشمائل.

الدنيا ـ والله ـ أهون من أن يتعارك عليها النّاس، إنّها لا تزن عند الله جناح بعوضة، والنفس أهون من أن يتقاتل عليها النّاس.

لماذا ينتصر الناس لأنفسهم؟ من أنت أيّها الإنسان؟ أيّها التراب الذي يمشي على التراب ويصير إلى التراب.

لا تغضب لنفسك ولكن اغضب لربك، لا تغضب لدنياك ولكن اغضب لدينك.

فأين منّا من يغضبون لربهم؟ وأين منّا من يغضبون لدينهم؟ وأين منّا من يتنازلون عن حقوقهم لإخوانهم؟ أين الأذلّة على المؤمنين، الأعزّة على الكافرين؟

نسأل الله عزّ وجلّ أن يفقّهنا في ديننا، وأن يجعلنا من عباد الرحمن ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● الخطبة الثانية:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

من معارك الإسلام اليوم: معركة المسلمين في أفغانستان.

قدّر الله لأمتنا الإسلاميّة في هذا العصر أن تخوض معارك شتّى: معارك مع اليهودية العالميّة، ومعارك مع الصليبيّة الغربيّة والشرقيّة، ومعارك مع الشيوعيّة الدوليّة، معارك في كلّ مكان.

ومن أعظم هذه المعارك: معركة إخواننا في أفغانستان، معركتهم مع الشيوعيّة الحمراء، مع الإلحاد الأحمر، الذي ينكر وجود الله عزّ وجلّ، وينكر الآخرة، وينكر النبوّات والرسالات، وينكر القيم الأخلاقية، وينكر الإسلام خاصّة.

الإلحاد الشيوعي يحارب الأديان جميعاً، ولكنه يخصّ الإسلام بمزيد من الحرب والنقمة لعداوات تاريخيّة.

هذا الإلحاد الشيوعي الأحمر لم يكتف بالتسلّل إلى بلاد المسلمين وغزوها من الداخل من طريق التضليل الماركسي والغزو الفكري الذي اصطاد ضحاياه من أبناء المسلمين الذين جهلوا دينهم وجهلوا حقيقة رسالتهم.

لم يكفه هذا حتى أراد أن يغزو المسلمين بالسلاح، وبدأ هناك في أفغانستان وأقول لكم: إن أفغانستان تمثل خط الدفاع بالنسبة للمسلمين جميعاً، لو انهار هذا الخط سيزحفون على ما بعدها ويهدّدون هذه البلاد كلها.

ولذلك فإنّ المجاهدين في أفغانستان لا يدافعون عن أرض الإسلام في أفغانستان فقط، ولكنّهم يدافعون عن شرف الإسلام، وعن شرف الأمّة الإسلاميّة كلّها، يدافعون عن كرامة هذا الدين، وهم يقاتلون وليس لهم نصير إلاّ الله عزّ وجلّ.

لقد بدأوا معاركهم بما معهم من مال قليل وسلاح ضئيل.. ببندقيّات قديمة، ثمّ بدأوا يأخذون أسلحتهم من أعدائهم، غنائم يغنمونها، فكانت عندهم بعد ذلك دبابات وغيرها.

هؤلاء يحتاجون إلى العون.. إلى أن نعينهم بما نقدر عليه، إذا كانوا يجودون بالدم، فلا أقلّ من أن نجود بشيء من المال، والله تعالى يقول: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ..﴾[1] [التوبة: ٤١]، قدّم الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس، لأنّه لا جهاد إلاّ بمال. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ..﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) وتتمّتها: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

ومن فضل الله أنّه اشترى أنفساً هو خالقها، وأموالاً هو رازقها، ثمّ أعطى الثمن غالياً: جنّة عرضها السمٰوات والأرض.

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[1].

الجهاد بهذه الثلاث:

الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، والجهاد باللسان، وفي عصرنا بالقلم أيضاً، كلّ هذه الألوان من الجهاد.

ويقول عليه الصلاة والسلام ـ فيما جاء في الصحيحين ـ: «**من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا**»[2] «**من مات ولم يغز ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبة من النفاق**»[3]، ولكن إذا لم تستطع أن تغزو، ولم تتح لك الفرصة لتغزو، تستطيع أن تغزو بصورة أخرى: أنت تجهّز غازياً في سبيل الله، أو تساهم في تجهيزه، أو تخلف أهله بخير.

مليون ومائتا ألف شهيد في أفغانستان!!

لأنّ هؤلاء من يقاتلون؟!

إنّهم يقاتلون القوّة الثانية في العالم، إنّهم يقاومون إحدى الدولتين

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن أنس رضي الله عنه، ورمز له السيوطي بالصّحّة في الجامع الصغير (١/ ١٤٣) قال المناوي: قال الحاكم على شرط مسلم، وأقرّ الذهبي، وقال في الرياض بعد عزوه لأبي داود: إسناد صحيح (فيض القدير: ٣/ ٣٤٤ برقم ٣٥٧٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٧٣ برقم ٦٦٦).

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والنّسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٤٠٩ برقم ٧٥٧).

العظيمتين في هذا العالم، إنهم يقاومون (الاتحاد السوفيتي) بأسلحته وخبراته وما عنده، وهو لاَ يبالي أن يضربهم بالقنابل العنقوديّة، والقنابل النابالم، وبكلّ سلاح محرم دوليًا، لأنّه لا يخاف الله ولا يستحي من النّاس.

ولهذا كان علينا واجب نحو إخواننا هؤلاء: أن نمدّ لهم يد العون، أن نكون وراءهم بقلوبنا وألسنتنا وأموالنا حتى ينصرهم الله، ونصرهم نصر لنا.. نصر للإسلام.. نصر لـ «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله»، ليظلّ الأذان مرتفعاً في تلك البلاد التي فتحت منذ عهد الصحابة، لتظلّ المئذنة ترسل: الله أكبر الله أكبر، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح.

هؤلاء الذين يقفون على رؤوس الجبال والثلج يغطّيهم عن يمينهم وعن شمالهم، ويعيشون بكسرة من الخبز، أو حبّات من التمر، أو كأس من الشاي، لا يطلبون فخراً ولا يطلبون بهرجاً، إنّما يريدون القليل والأقّل من القليل.

إنّ لّهؤلاء ـ كما قال عبد ربّ الرسول سيّاف رئيس اتحاد المجاهدين في أفغانستان ـ حقًا علينا.

فجودوا لهم ـ أيها الإخوة ـ وادفعوا ما استطعتم، فالقليل على القليل كثير، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ﴿... وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

نسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبّل منّا، وأن يقبلنا، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقي.

اللّهمّ انصر أمّة الإسلام، اللّهمّ ارحم أمّة الإسلام، اللّهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللّهمّ انصرنا على اليهود، اللّهمّ انصرنا على الشيوعيين، اللّهمّ انصرنا على الصليبيّن المستعمرين، اللّهمّ انصرنا على الكفرة الملحدين، اللّهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الدين، اللّهمّ إنّا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] .

وصلّ اللّهمّ على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وأقم الصلاة.

* * * * *

* * *